المتغيرات السياسية وأثرها في سقوط الخلافة الاموية
(٤١-١٣٢هـ /٦٦١-٧٤٩م)

Political variables and their impact on the fall of the Umayyad Caliphate (41-132 A.H. / 661-749 A.D.)

أ.م.د. نازدار عبدالله محمد سعيد
المديرية العامة لتربية محافظة نينوى

assist.prof.dr. Nazdar Abdullah Muhammad Saeed
General Directorate of Education, Nineveh Governorate

nazdaralabady110@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المتغيرات- السياسية- الاقتصادية – العسكرية- الاجتماعية
Keyword: Variables - political - economic - military - social

الملخص

تناولت الدراسة المتغيرات التي أحدثها الامويون في سياسة الدولة، مستهدفة فرض سيطرتهم وكسب ولاء رعاياهم، الا ان المسلمين اعتبروا ذلك خروجاً على الثوابت والسوابق التاريخية مما ولد رفضاً ومعارضة مستديمة على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي، تعاضدت جميعاً وخلال فترة حكم الأمويين على اضعافهم وتفككهم وبالتالي سقوط خلافتهم .

Abstract

The study dealt with the changes brought about by the Umayyads in state policy, aiming to impose their control and win the loyalty of their subjects, but the Muslims considered that a departure from the constants and historical precedents, which generated permanent rejection and opposition at the political, economic, military and social levels, all of which joined forces during the period of Umayyad rule to weaken and disintegrate them and thus the fall of their caliphate.

المقدمة

لم يكن وصول الامويين الى منصب الخلافة اسلوبا مضافا الى اساليب تداول السلطة في العصر الراشدين الذي أسس على الشورى والانتخاب، بل حدثا مفصليا أعتمد القوة العسكرية سبيلاً لانتزاع السلطة، متغيرا عصف بالثوابت التي ترسخت في النظام السياسي وخروجا على السوابق التاريخية، بما أفرز من متغيرات على مجمل الأوضاع في أمصار الدولة، اذ اسست السياسة الاموية خلال ما يناهز القرن من الزمان عوامل تعاضدت على ضعف السلطة، وتفكك عرى القوة العسكرية التي اعتمدتها، والتي ادت في النهاية الى سرعة انهيارها .

اذ شهد الحكم الاموي معارضة شديده من مختلف الفئات والاتجاهات التي وجدت في سياسته خروجا على ما أقره اسلافه، بما وسم عصره بكثرة الثائرين .

الخارجين الذين استهدفوا تقويم المسار، وما فاقم النقمة والتذمر سياسة الامويين في التعامل مع المعارضين اذ اعتمدت العقاب الاقتصادي بحرمان البعض من العطاء وانقاض عطاء البعض الأخر، بما لايكفي لسد متطلبات الحياة، فانعكس ذلك على اقبال العرب للتسجيل في الديوان، فضلاً عن نفورهم من القتال، فأصبحوا مادة للثائريين الذين عوضوهم عن هذا الحرمان، ونتيجة لذلك اتسمت السياسة الاموية بالتحيز الاقليمي من خلال الاعتماد على الجند الشامي لفرض سلطتها وسيادتها على اقاليم الدولة، فخصته بالعطاء والامتيازات، الا ان الخلفاء لاسيما المتأخرين لم يوفقوا في الموازنة بين عناصر هذا الجند، فاصطنعوا قبائل دون أخرى، ما أشعل العصبية القبلية في الشام وبقية الامصار حتى صار للقبائل الكلمة الفصل في عزل وتنصيب الخلفاء، فأستثمر المعارضون هذا التميز القبلي، لاحتواء المتذمرين من السياسة الاموية، حتى نجح العباسيون في أسقاط نظامهم، واعلان نظام أخر على انقاضه،

وقد استهدفت الدراسة من خلال مباحثها تشخيص هذه المتغيرات على مختلف الصعد، وبما أسهمت متعاضده من بذر عوامل الضعف والتفكك والانهيار، من خلال ما ورد في كتب التراث، بمنهجيه قامت على التجرد من الهوى والميول مستهدفه الحقيقية التاريخية .

ومن الله سبحانه العون والتوفيق، انه نعم المولى ونعم النصير

المتغيرات السياسية :-

مثل انتقال الخلافة الى الامويين تطوراً مفصلياً في أساليب تداول السلطة التي تعارف عليها المسلمون في العهد الراشدي، وحدثاً لم يشهده النظام السياسي سابقاً. ذلك لأن اعتماد القوة العسكرية سبيلاً لانتزاع السلطة قد عصف بكل الممارسات التي مثلت معاييراً تعارف عليها المسلمون من بعد وفاة الرسول(ﷺ)، في اختيار من يخلفه والتي ارتكزت على الشورى والانتخاب والتي اختلفت اساليب تداولها بين خليفة وآخر[١]

وقد عرف عن معاوية بن أبي سفيان، والي الشام منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) تطلعه للسلطة وسعيه للوصول اليها . اذ روي عنه قوله ((لازلت أطمع بالسلطة منذ قال لي رسول الله، يا معاوية اذا ملكت فأحسن)) [٢]، وذكر ابن طباطبا [٣] أنه كان ((محباً للرئاسة مشغوفاً بها)) .

واستناداً لطموحاته فقد سعى منذ ولايته على الشام سنة ١٨هـ /٦٣٩م[٤]، من أستمالة قبائل الشام بمغريات مختلفة مكنته من اعتمادهم قوة عسكرية تحقيقا لأهدافه [٥]، بما ساعده على مناوأة الخلافة مستثمرا تطور الاوضاع التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة (٣٥هـ/٦٥٥م)، [٦] لذلك اعتبرت عدم بيعته للامام علي (رضي الله عنه)، (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)، ومعارضته خروجاً على الأجماع والشرعية [٧]، وقد دفعه طموحه وموالاة أهل الشام له، الى مواجهة الخلافة عسكرياً في معركة صفين سنة(٣٧هـ /٦٥٧م) [٨].

وقد الزمت متغيرات سرت في جند الأمام علي (رضي الله عنه)، بعد قيام جند الشام برفع المصاحف للأحتكام اليها[٩] الى قبول الامام (رضي الله عنه) عنه بالتحكيم، على الرغم من تنبيهة للجند

---

[١] الملاح : اساليب تداول السلطة، ٣٧ .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد،٣٦٤/٤ .

[٣] الفخري في الأداب،٩٢ .

[٤] الزبيري : نسب قريش، ١٢٦ .

[٥] المسعودي : مروج، ٤٢/٣ .

[٦] المنقري : صفين، ٨٢ ؛ محمود : معاوية بن أبي سفيان، ١٩٦ .

[٧] الطبري : تاريخ، ٤ /٤٤٤- ٥٠٠ .

[٨] المنقري : وقعة صفين، ٤٧ .

[٩] اليعقوبي : تاريخ ١٨٨/٢٠-١٨٩ .

بأنها خديعة بقوله ((أمضوا الى حقكم وصدقكم وفي قتال عدوكم، ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ومكيده)) [١].

حقق هذا المتغير تحولاً على المستوى العسكري ووضع معاوية على المستوى السياسي والاعتباري نداً للخليفة الشرعي الامام علي (ﷺ)، وقد سخر عمرو بن العاص حنكته لصالح من يمثله، وأضعاف موقف الطرف الآخر [٢]، افرزت نتائجها انقساماً في صفوف جند الخلافة، إذ لم يتمكن الخليفة من توحيد صفوفه والعودة بهم لفرض ارادته على والي الشام [٣]، حتى أستشهد (ﷺ) في مسجد الكوفة سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م) [٤].

بعد اختياره لمنصب الخلافة، لم يكن أمام الحسن بن علي (ﷺ) من موجبات سوى فرض السلطة المركزية على الشام، ووواليها [٥]، إلا أن ما احدثته المتغيرات السابقة بين فئات الجند لم تمكنه من تحقيق هدفه [٦]، فأثر حقن الدماء وانهاء حالة الحرب بين المسلمين والتخلي عن الخلافة لصالح معاوية [٧]، ملقياً تبعات ذلك على تهاون جنده وعدم انصياعهم لارادته، ساهم في ذلك مناورات معاوية لأيصال الامام الحسن (ﷺ) خلال فترة ولايته التي ناهزت السبعه شهور لجعل التنازل أمراً مقبولاً [٨].

وبذلك أستثمر معاوية متغيرات الأوضاع بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) بكثير المناورات والاساليب والمغريات لتحقيق هدفه بالوصول الى مركز الخلافة (٤١هـ /٦٦١م).

لاشك ان ذلك قد عصف بكل الاساليب التي اعتمدت في تداول السلطة والقائمة على الشورى والانتخاب، والتي أصبحت من ثوابت الخلافة عند المسلمين، وهذا ما أفرزت معارضه لم تنتهي للخلافة الأموية، ولاسيما في الحجاز، حيث كبار الصحابة والتابعين (ﷺ)، وفي العراق، الذي مثل الثقل البشري للقوة العسكرية الاسلامية .

---

[١] المسعودي : مروج، ٣/٣٩٠ .

[٢] ينظر عن مجريات التحكيم، ابن قتيبه: الإمامة، ١/ ١٥٠ –١٥٤ ؛المبرد :الكامل،٢٠–٢١.

[٣] الأصفهاني :مقاتل الطالبيين، ٢٥ – ٣٠.

[٤] اليعقوبي: تاريخ،٢/٢١٢ .

[٥] الطبري : تاريخ،١٦٢،٥٨ .

[٦] المسعودي : مروج، ٣/٩ ؛ اليعقوبي : تاريخ،٢/ ٢١٢ .

[٧] ابن خياط : تاريخ، ١/ ١٨٧ ؛ المقدسي : البدء والتاريخ، ٢٣٥ –٢٣٦.

[٨] الدينوري : الأخبار، ٢١٦ –٢١٧ ؛ الطبري : تاريخ، ٥/١٥٩.

أرسى معاوية أسس الحكم الأموي، التي ارتكزت ثوابتها على التماهي مع الاتجاهات المختلفة للمعارضة ومحاولة احتوائها بكثير الأساليب المنبثقة من قناعة الامويون بأن القوة العسكرية التي اوصلتهم الى الخلافة لا يمكنها من أن تفرضهم على الأمة، إذ عارض كبار الصحابة تولي معاوية الخلافة معتبرين انه فاقد لشروطها، كالسابقة والقدم في الاسلام، وأن فيهم من تقدمه الأفضلية والأحقية، لذلك عدوه منتز وغاصب للخلافة على اعتبار أنه من الطلقاء، ورفض الأغلبية مبايعته لاسيما ال البيت (عليهم السلام) [١]، وهذا ما الزم معاوية بزيارة المدينة في العام الذي تولى فيه (٤١هـ/ ٦٦١م)، والقى في أهلها خطاباً جاء فيه ((أما بعد فأني والله ماوليتها بمحبة علمتها منكم، ولامسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي مجالدتكم، وقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة (أبي بكر رض) واردتها على عمل عمر (رض)، فنفرت من ذلك نفاراً، واردتها مثل ثنيات عثمان فأبت علي فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة، مواكلة حسنة ومشاربه جميلة، فأن لم تجدوني خيركم فأني خير لكم ولاية، والله لا احمل السيف على منْ لا سيف له، وان لم يكن منكم إلا مايشفي به القائل بلسانه فقد جعلت له ذلك دبر أذنى وتحت قدمي، وان لم تجدوني أقوم بحقكم كله فأقبلوه، فأن السيل اذا زاد عني واذا قل أغنى، واياكم والفتنة فأنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة)) [٢].

وبهذا وضح معاوية أسس الحكم الأموي، معترفاً انه تولى الخلافة دون رضى واجماع المسلمين، وأقر بأن القوة وسيلة الأمويين بالوصول الى السلطة، محذراً معارضيه بأثارة الفتنة، وبذلك تقبل أهل الحجاز وسلموا بالأمر الواقع على الرغم من معارضتهم [٣].

اما العراق فقد أعلن معارضته لهذا التحول الفارق في الخلافة، ولاسيما وان مركزها وبيت مالها كان مدينتهم الكوفة لذا فأن انتقالهما الى دمشق كان له وقع اليم في نفوسهم [٤]، وبذلك جردوا من امتيازاتهم السياسية والاقتصادية، وادركوا ان عطائهم ووارد السواد سيذهب لأهل الشام غرماً لهم وسلباً لحقهم [٥].

---

[١] ينظر: عن اتجاهات المعارضة ، مضر عدنان طلفاح ، خليفة الله دراسة في الخطاب السياسي الأموي والعباسي وتطبيقاته العملية (الاردن ،مؤسسة حماده للدراسات والنشر ،٢٠١١) ١٨-١٩.

[٢] ابن عبدربه : العقد، ٤/ ٨٢ .

[٣] ابن قتيبة: الإمامة، ١/١٦٣ .

[٤] فلهاوزن : الدولة العربية، ٥٨ .

[٥] الدوري : مقدمة، ١٧٤.

أذ كانت القبائل حريصة على عدم الاستسلام للأمويين، حيث قاتلت في صفين خوفاً من غلبة الامويين على الفيء، والرجوع الى سيرة عثمان (ﷺ) في اموال العراق[١]، وعند تنازل الامام الحسن(عليه السلام) عن الخلافة طمأن القبائل في العراق بقوله ((إني قد أخذت لكم على معاوية عهد الله وميثاقه أن يعدل بكم ويوفر فيئكم عليكم)) [٢].

وتقبل مقاتلة العراق الأمر الواقع على مضض، فقد قال سعد بن مالك بعد أن بايع معاوية((السلام عليك أيها الملك، فغضب معاوية، فقال، الا قلت السلام عليك أيها يا أمير المؤمنين ؟ قال: ذلك ان كنا أمرناك انما انت منتز)) [٣]، وخاطبه صعصعه بن صوحان العبدي بقوله ((لقد كنت انت وابوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله، وانما انت طليق ابن طليق، اطلقكما رسول الله، فأني تصح الخلافة لطليق)) [٤]، ويمثل موقف عدي بن حاتم موقف أهل العراق، فقد قال لمعاوية ((والله أن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن ادنيت الينا من الغدر فتراً لندنين اليك من الشر شبراً)) [٥].

لم يكن موقف الحجاز والعراق ليخفى عن الخلافة في الشام فقد ادرك معاوية الاوضاع حين قال ((أن أهل العراق أظهروا لنا ذلاً تحته حقد)) [٦].

ولعل من أبرز المتغيرات السياسية التي عدت سابقة في النظام السياسي الاسلامي، هو سعي معاوية لتوريث الخلافة من خلال تسمية ابنه يزيد ولياً للعهد، حرصاً منه على استقرار الخلافة في ال بيته بعد الجهود المضنية التي بذلها للوصول اليها[٧] وادراكاً منه لحجم المعارضة للحكم الأموي، التي تقبلت فترة خلافته كأمر واقع، إلا ان يعهد لابنه يزيد بالخلافة من بعده [٨]، فذلك سابقه لم يتقبلها عدد من الصحابة والتابعين ممن يرون انهم أحق من معاوية وابنه في تولي الخلافة [٩].

---

[١] المنقري : صفين،٢٤٨-٢٥١ .

[٢] مجهول : الخلفاء، ١٢٧ .

[٣] اليعقوبي : تاريخ،٢/٢١٧ .

[٤] المسعودي : مروج،٣/ ٥٠ .

[٥] المصدر نفسه، ٣ / ١٣ .

[٦] ابن عبد ربه : العقد الفريد،٤ / ٣٦٤ .

[٧] الطبري : تاريخ، ٥ / ٣٠٣ .

[٨] ابن الاثير : الكامل، ٣ /٥٠٣ ؛المنجد : سؤال في يزيد،٢١ .

[٩] ابن خياط، ١/١٩٩؛ السيوطي: تاريخ، ٢٥٤ .

كلف معاوية ولاته على الأمصار بمهمة استطلاع الآراء واخذ البيعة لابنه يزيد، فكتب بذلك الى مروان بن الحكم عامله على المدينة [١]، والى زياد بن ابيه عامله على البصرة، والمغيرة بن شعبه عامله على الكوفة[٢].

جاءت ردود الفعل من المدينة، اذ اخفق مروان بن الحكم في الحصول على موافقة الصحابة، ما أستدعى حضور معاوية الى المدينة للوقوف على الأمر بنفسه، واجتمع بأشرافها منهم الحسين بن علي (ﷺ)، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن الزبير (ﷺ عنهم) فكانت ارائهم، عدم أقتناعهم بالمبدأ وان الخلافة شورى وانتخاب فضلاً عن أن مرشحه يزيد ليس أهلاً لها اومن من فتياتها[٣].

وادرك معاوية أن بعض الصحابة، يرون انهم انداداً له ولابنه وانهم احق بالخلافة، لذا جاءت خطبته فيهم بمثابة إجهاض لامالهم اذ قال ((لقد قلتم وقلتم، وانه ذهبت الآباء وبقيت الابناء، فأبني أحب اليّ من ابنائهم، مع ان أبني إن قاولتموه وجد مقالاً، وانما هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله (ﷺ)، فلما مضى الرسول ولى الناس أبو بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة، غير انهما سارا بسيرة جميلة، ثم رجع الملك الى بني عبد مناف، فلا يزال فيهم الى يوم القيامة)) [٤]، ولمح باستخدام القوة مع من يعارض هذا التوجه بقوله ((منْ أحق من يزيد بالخلافة في فضله وعقله وموضعه، وما أظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أنذرت أن أغنت النذر)) [٥]، واستناداً لذلك أعتمد معاوية على أهل الشام في دعم هذا المتغير الذي مثل سابقه في دعمه والدفاع عنه، اذ تبارى رؤساء القبائل في حثه بالبيعة ليزيد وفرضه باستخدام القوة ضد المعارضين اذا لزم الامر، مدفوعين بالحفاظ على مكانتهم ودورهم وامتيازاتهم ومن هؤلاء الحصين بن نمير السكوني، وعبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وعبدالله بن مسعد الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبدالله بن عصام الأشعري، والضحاك بن قيس، ويزيد بن المقنع [٦].

---

[١] ابن اعثم : الفتوح،٤ /٢٢٤ ؛العقيلي : مبايعة يزيد،٣٧ .

[٢] ابن قتيبة : الإمامة، ١/٩١-٩٢ .

[٣] الإمامة ، ١/ ١٤٨-١٥٠ .

[٤] المصدر نفسه، ١/ ١٤٨- ١٥٠ .

[٥] ابن الاثير : الكامل، ٣ /٥٠٩ .

[٦] ينظر: عن مواقفهم، ابن قتيبة: الإمامة، ١/ ١٤٨ ؛ الجاحظ : البيان، ١ /٢٠٢ ؛ البكر : الصراع السياسي،١٣١-١٣٢ .

وبذلك أستطاع معاوية بكثير الاساليب التي اعتمدها في الانقلاب على السوابق التاريخية باستحداث متغير في النظام السياسي استند على الوراثة كأسلوب في تداول السلطة.

ومن خلال ذلك رسخ معاوية دون قصد عوامل ضعف النظام السياسي الذي أرسى قواعده، أذ أتاح لشخصيات من العائلة المالكة (سفيانية او مروانية) غير مؤهلة لإدارة دولة أضحت إمبراطورية فمنذ تولي يزيد بن معاوية (٦٠-هـ٦٣/٦٨٠-٦٨٤م) تعاقب خلفاء ضعفاء لم يكونوا بمستوى التحديات مثل معاوية بن يزيد (٦٤هـ/ ٦٨٣م)، فقد وصف انه كان مريضاً ضعيفاً زاهداً في الحكم، اذ لم يبارح قصر الخلافة خلال فترة خلافته التي ناهزت (اربعون يوماً)[١]، وترك الخلافة دون أن يسمي خلفه، فخلق بذلك أزمة خطيرة[٢]، حركت مطامع افراد الاسرة للوصول الى السلطة وخلق تيارات متعارضه اسست لتدخل القبائل الشامية في تسمية واختيار الخليفة، يؤشره مؤتمر الجابيه [٣] الذي افرز اختلاف تياراته مروان بن عبدالملك خليفة، على ان يكون بعده خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الأشدق على التوالي[٤].

وبقيت مسألة ولاية العهد أحد ابرز مواطن الضعف في النظام السياسي الأموي، ومدخلاً لغرض ارادات القوى القبلية التي تحركها مصالحها وامتيازاتها [٥].

تولى مروان بن الحكم الخلافة (٦٤هـ/٦٨٣م)،إلا ان هاجس استمرار الخلافة في ذريتهم أدت الى تنصله من مقررات الجابية مدعوما بزعماء القبائل الموالية كروح بن زنباع، وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي، فعهد لولدية عبدالملك وعبدالعزيز [٦].

تولى عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) ولم تختلف رغبه عبدالملك عن سابقيه في أن تستمر الخلافة في اولاده فسعى لعزل أخيه عبدالعزيز عن ولاية العهد [٧]،وعلى الرغم من رفضه إلا ان وفاته سنة (٨٤هـ/٧٠٣م)،مهدت لابنه الوليد بولاية العهد ومن بعده لأخيه سليمان [٨].

---

[١] الزبيري : نسب قريش، ١٢٨ ؛ الطبري :تاريخ،٥ / ٥٠٣ .

[٢] اليعقوبي : تاريخ،٢ /٢٥٤.

[٣] الطبري : تاريخ، ٥ / ٥٣٤ ؛ الحموي : معجم البلدان، ٢ / ٩١- ٩٢ .

[٤] اليعقوبي : تاريخ، ٣/ ٢٥٥ ؛ المسعودي : مروج، ٣ / ٨٦ .

[٥] البلاذري : انساب، ٥ /١٢٨ .

[٦] ابن قتيبة : الإمامة، ١٣٢ ؛ الطبري : تاريخ، ٤ /٥٤ .

[٧] الكندي : الولاة، ٥٤ ؛ الطبري : تاريخ، ٦ / ٤١٤ .

[٨] الطبري : تاريخ، ٦ / ٤١٥ .

تولى الوليد بن عبدالملك الخلافة (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) فسعى لعزل أخيه وتولية ابنه عبدالعزيز بمسانده معظم الولاة القادة العسكرين [١].

إن ما نرمي اليه هو الاساس الذي شرعه معاوية اسلوباً لتداول السلطة وحصرها بالأسرة الأموية، أفرز تنافسا وصراعاً بين افردها استثمرته القوى القبلية والسياسية، بما عمق الانقسام والتفكك في لحمة هذه الاسرة، ما سهل فتتنها ولجوئها الى الاقتتال للوصول للخلافة، بمثل ما حدث بين الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م)، ويزيد بن الوليد (١٢٦هـ/٧٤٣م) من فتنه حول عرش الخلافة اسفرت عن قتل الوليد بن يزيد [٢]، ومن ثم المجيء بإبراهيم بن الوليد (١٢٦هـ /٧٤٣م) للخلافة وهو عاجز ضعيف الرأي، لذلك لم تترسخ سلطته التي لم تدم طويلا، إذ خلعه مروان بن محمد سنة (١٣٧هـ/٧٤٤) [٣]، فتحمل هذا الخليفة اوزار ما وقع فيه النظام السياسي من اخطاء، وامضى سنوات خلافته في صراع مستمر مع الطامحيم من افراد أسرته فضلاً عن الخارجين عليه، وبذلك وضعت الأسرة الأموية نهاية النظام الذي انتزعته بالقوة العسكرية لينتهي بقوة عسكرية أخرى مخالفة، استمدت مشروعيتها من المتغير الذي أحدثوه في السوابق التاريخية .

المتغيرات الاقتصادية:

أستند الحكم الأموي في قيامه على رضى قبائل الشام، وأستطاع معاوية بما أوتى من مقدرة على تفهم العقلية القبلية وذلك بتألفهم عن طريق غدق الأموال والامتيازات والمناصب عليهم، فهي عماد قوته العسكرية [٤]، فيروي أن وفداً من تميم وفد الى معاوية، فدفع لكل رجل منهم مائة الف درهم، واعطى الحتات بن يزيد سبعين الف درهم، فلما علم الحتات بذلك، عاد الى معاوية، فقال له ((فضحتني في بني تميم، أما حسبي بصحيح؟ أو لست ذا سن؟ أو لست مطاعاً في عشيرتي؟ فقال له معاوية بلى ، قال فما بالك خسستني دون القوم، فقال: إني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك الى دينك، وموقفك من عثمان بن عثمان، فقال، وأنا فاشترمني ديني فأمر له بتمام جائزة القوم)) [٥]، وهذا ما شجع قبائل الشام لأن تساوم معاوية على موقفها، فيذكر ان حسان بن مالك رئيس قحطان وسيدها في الشالم

---

[١] السيوطي : تاريخ، ٢٧٤ .

[٢] الزبيري : نسب قريش، ١٦٦ ؛ مجهول : العيون، ٣ / ١٤٠-١٤١ .

[٣] اليعقوبي تاريخ، ٢/ ٣٣٧ ؛الطبري : تاريخ، ٧/ ٢٩٩ .

[٤] المبرد : الكامل، ١ /٦٥ .

[٥] الطبري : تاريخ، ٥/٢٤٢-٢٤٣ .

أشترط على معاوية ان ((يفرض لهم لألفي رجل الفين الفين، وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه، وعلى ان يكون لهم الأمر والنهي، وصدر المجلس، وكل ما كان من حل أو عقد، فعن رأي منهم ومشورة)) [١].

وبهذه السياسة أستطاع معاوية فرض سلطته على القبائل وارسى في الوقت نفسه الاعتماد عليها كقوة مواليه في سياسة الحكومة الأموية .

وفي المقابل أعلنت الأمصار الأخرى موقفاً معارضاً مدركة منذ البدء ان كل ما حققوه من مكانة اقتصادية على صعيد العطاء والفيء، سينتقل الى أهل الشام [٢].

وهذا ما حصل، إذ أستولى معاوية على أرض الصوافي في العراق، ولم تعد تابعه للمحررين، وصار واردها يحمل كل سنة الى دمشق [٣]، كما أستأثر بفضول بيت المال [٤]، وفي رسالة بعث بها مقاتلة العراق الى الامام الحسين (عليه السلام) في المدينة يقولون فيها ان معاوية ((أنتزى على هذه الامة، فأبتزها أمرها، وغصبها فيئها ... وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها)) [٥].

فضلاً عن ذلك فقد أتخذ معاوية من العطاء وسيلة للسيطرة على الجماعات المناوئه، وكسب أخرى، فبينما كان عطاء جند الشام يتراوح بين ثلاثمائة الى الفي درهم [٦] كان مقاتلة العراق من مائتين الى ثلاثمائة درهم [٧]، أخذ معاوية منه الزكاة وهو أمر لم يعرفمن قبل[٨]، وبذلك الغى الاسس التي وضعها عمر بن الخطاب (رض) كالسابقة في الاسلام والغناء والحاجه، وأصبح الولاء للبيت الاموي والاخلاص له مقياساً مهماً في ذلك .وبذلك أسس معاوية سياسة الانحياز للقبيلة، اذ بقي يفرض للقبائل اليمانية في الشام، ويؤثرها بالعطاء دون غيرها، حتى هدد اليمانية بطرد القبائل القيسية من الشام فأضطر معاوية لان يفرض لبعض القيسية في العطاء [٩]، ولم يتمكن خلفاؤه من تحقيق هذه الموازنة بين القبائل، فقد أضطهد الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ//٧٤٣-٧٤٤م)،القبائل اليمانية وحرمهم من العطاء ومال

---

[١] المسعودي : مروج، ٣ / ٩٥ .

[٢] الدوري : مقدمه، ٥٤ .

[٣] اليعقوبي : تاريخ، ٢ /٢٣٢ .

[٤] الجاحظ : رسائل، ١١١.

[٥] الطبري : تاريخ، ٥ /٣٥٢ .

[٦] البلاذري : انساب، ٥ / ٣٥٤ .

[٧] المصدر نفسه، ٥ / ٢٧٣ ؛ الطبري : تاريخ، ٧ / ٤٢٦ .

[٨] اليعقوبي : تاريخ، ٢ /٢٣٢ .

[٩] ابن عساكر :تهذيب، ٥ /٣٠٠-٣٠١ ؛النص : العصبية القبليه،٢٥٦ .

للقيسية [١] فثاروا عليه وقتلوه، ونصبوا يزيد بن الوليد سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٤م)[٢]، أعقبه ابراهيم بن الوليد (١٢٦هـ/٧٤٤م)، ثم عزله مروان بن محمد وحل محله في الخلافة [٣] وكذلك فعل مروان، اذ قرب قيساً وربيعه وآثرهم بالعطاء ولم يفرض لسواهم [٤].

وأمتد ذلك الى اقاليم الدولة، ففي خراسان تعصب واليها نصر بن سيار (١٢٠-١٣٢هـ/٧٣٨-٧٥٠م) على ربيعة واليمن الى الحد الذي خطب فيهم قائلاً ((مالكم عندي عطاء بعد يومكم هذا)) [٥].

لم تقتصر سياسة الامويين على التحيز القبلي بل شمل الانحياز الأقليمي، اذ خص الجند الشامي بالعطاء والامتيازات باعتباره قوتها الضاربة، وحرم منها بقية الجند الاسلامي، فقد نقل معاوية بيت المال من الكوفة الى دمشق، وزاد في عطاء أهل الشام وانقص عطاء أهل العراق، فاثأر النقمة على الامويين، يتضح ذلك من عرض عبدالملك بن مروان على أهل العر اق مقابل عدم دعمهم لثورة ابن الأشعث أن يعزل الحجاج ويجري عليهم أعطياتهم وأعطيات ذراريهم كما تجري على أهل الشام [٦]، وقد حرم أهل المدينة من العطاء بسبب موقفهم المعارض للسياسة الأموية، اذ قال الخليفة عبد الملك بن مروان لابن شهاب الزهري الذي قدم من المدينة المنورة الى الشام يطلب الفريضة بقوله ((يا أمير المؤمنين، أفرض لي، فأني منقطع في الديوان ،قال : ان بلدك ما فرضنا فيها لأحد منذ كان هذا الأمر [٧]، كما حرمت بعض القبائل من العطاء كبكر وتميم لأنهما على رأي الخليفة عبدالملك ((حيان كثير شرهما وما أحب ان يكثروا بهذه البلاد)) [٨]، وهكذا طال الحرمان أهل كل مدينه يظهر فيها ثائر ومعارض للسلطة الاموية [٩]، وبذلك شملت السياسة الاقتصادية للأمويين الحرمان الجماعي والفردي سواء على صعيد العطاء او فرض للأجيال المهاجرة للأمصار او

---

[١] الطبري : تاريخ، ٧ / ٢٣٣-٢٣٤ .

[٢] ابن خياط : تاريخ، ٢م ٥٦٤-٥٦٦ .

[٣] الطبري : تاريخ، ٢ / ٣١١-٣١٢ .

[٤] الازدي : تاريخ الموصل، ٦١ ؛ ابن خياط : تاريخ، ٣ / ٥٦٤ .

[٥] البلاذري : انساب، ٣ / ١٢٩ ؛ مجهول : تاريخ الخلفاء، ٤٦٤ .

[٦] مجهول : تاريخ الخلفاء ، ٢٨٤ .

[٧] البسوي : المعرفة، ١ /٦٢٨ .

[٨] ابن اعثم : الفتوح، ٧ / ٨٤-٨٥ .

[٩] ينظر، الطبري : تاريخ، ٧ /١٩١ ؛ الاصفهاني : الاغاني، ٦ / ١٠٨؛ ابن اعثم : الفتوح، ٨ / ١٢٣.

[١٠] البلاذري : انساب، ٥ / ٤٥٣ -٤٥٤ ؛ الطبري : تاريخ، ٦ / ١٦٤ .

وقد أحدثت هذه السياسة تغيراً في المواقف والبنيه العربية والاسلامية، إذ فضلاً عن أن هؤلاء المحرمون أو ممن هم في الحد الادنى من العطاء، اصبحوا مادة للثائرين والخارجين على السلطة الاموية في مختلف الأمصار حتى طالت بلاد الشام مركز القوة الاموية، فقد أفرزت هذه السياسة نتائج كان لها آثار على صعيد البنية الاجتماعية للعرب المسلمين، ففي الوقت الذي كان فيه فرض العطاء للعرب منذ خلافة عمر بن الخطاب أستهدف عدم انشغالهم بأمور الحياة ومزاولة المهن للحفاظ على روحهم العسكرية والتفرغ للجهاد [١]، أدت سياسة الامويين الاقتصادية وتناقص أهمية الديوان بعد قطع العطاء والارزاق والمعاون والكسوة عنهم [٢] الى البحث عن وسائل أخرى للعيش في التجارة او الزراعة او المهن [٣]، وعلى الرغم من ذلك استمرت نظرة هذه المجموعات المحرومة والخارجة عن الديوان، بأحقيتها في الفيء، فكانوا ينظرون بعين الغضب والحقد على الدولة التي حرمتهم من ذلك الحق [٤]، وذلك ما تقرر منذ عهد عمر (ﷺ)، عندما جعل الاراضي المفتوحة وارد للأمة حاضراً ومستقبلاً [٥]، وهذا ما سهل على الثائرين والخارجين على الدولة من استثمار اسباب تذمر الجماعات المحرومة، فجلبوا أعداد كثيره الى صفوفهم، تحت شعار الوعد بقسمة الفيء ومشاركة الجميع فيه، اذ جاء في برنامج ثورة الأمام زيد بن علي في الكوفة سنة (١٢٠هـ/ ٧٣٨م)، أن ثورته تستهدف ((الدفع عن المستضعفين، وأعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله)) [٦]، ووجه الأمام زيد (ع) ((بكتبه الى أهل السواد يواعدهم)) [٧].

واشترك المحرومون من العطاء في ثورة عبدالله بن معاوية التي اندلعت في الكوفة سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)، وبايعه الناس بالكوفة ومن كل وجه [٨].

وكان من شعارات الثورة العباسية ((إنصاف المظلومين من الظالمين ... وقسم الفيء بالسوية)) [٩]، وبذلك ركزت الثورة على الجماعات الخارجية من الديوان، فانضمت

---

[١] الطبري : تاريخ، ٣ / ٦١٥- ٦١٧ .

[٢] أبو عبيدة : الاموال، ٢ / ٨٩٧ .

[٣] الدوري : مقال الاسلام، ٤٨ .

[٤] الطبري : تاريخ، ٧ / ٤٢٦ ؛ ابن اعثم : الفتوح، ٨ / ١١٣- ١١٥ .

[٥] ابن سلام : الاموال، ٢٥ .

[٦] البلاذري : انساب، ٣ / ٢٣٧- ٢٣٨ .

[٧] ابن اعثم : الفتوح، ٨ / ١١٤ .

[٨] ابن خياط : تاريخ ٢ / ٥٦٧ ؛ الطبري : تاريخ، ٧ / ٣٠٨ .

[٩] الزمخشري : ربيع، ٤ / ٣٣٤ .

قوافلها في خراسان الى ابي مسلم الخراساني [١]، ويذكر ان جيش الثورة الذي تقدم الى العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي، قد لاقى ترحيبا ودعما من قبل العرب المستقرين في السواد ، وأمر قحطبة بأن يفرض لهم في الديوان [٢].

المتغيرات العسكرية :

إن وصول الأمويين الى الخلافة بفعل القوة العسكرية الموالية لهم في الشام، والخروج على الثوابت والسوابق التاريخية في ارساء نظامهم السياسي، فضلاً عن تحيزهم القبلي والاقليمي أفرز حالة من النفور والمعارضة السلبية والعلنية، وسمت عصرهم بكثير الثورات المناوئة في أقاليم الدولة من قبل اتجاهات فكرية مختلفة، ادت الى حالة من خفوت وتراجع الروح العسكرية لدى المقاتلة بعدما انهكتهم نتائجها وزعزت صفوفهم، فكان لها أثرها في ضعف الرغبة لدى المقاتلة في القتال، والنفور من حياة المعسكرات، وعدم الأنصياع لرغبة الحكومة المركزية، ولكثرة العصاة والمهزومين، فقد منيت جيوش الدولة بالهزيمة في مواقع كثيرة [٣]، وفي محاولة للسيطرة على هذه الظاهرة لم يراجع الامويين سياستهم القبلية والمالية، بل لجأوا الى أساليب أتسمت بالشدة والقسوة زادت من نفور المقاتلة ومعارضتهم ،فكان بشر بن مروان، والي العراق اذا اظفر بالعاصي سمر كفيه في الحائط وتركه الى أن يموت [٤]، ويصور الطبري [٥]، هذا التراجع في الروح العسكرية بقوله ((خرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رام هرمز، فلقى الخوارج فخندق عليه، وأقبل عبدالرحمن بن مخنف بأهل الكوفة .... حتى نزل من المهلب على ميل او ميل ونصف، حتى تراءى العسكران برام هرمز، فلم يلبث الناس إلا عشراً حتى أتاهم نعي بشر بن مروان .... فأرفض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة .... فبلغ ذلك خالد بن عبدالله (والي البصرة يعد بشر)، فكتب الى الناس كتابا، وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويتهددهم)) ألا انهم لم يكترثوا لتهديده، وتركوا المهلب يواجه خطر الخوارج فكتب الى الخليفة عبدالملك بعد أن فقدت الامصار اي ظل للسلطة المركزية بقوله له ((انه ليس عندي رجال أقاتل بهم، فأما بعثت الي الرجال، واما خليت بينهم وبين البصرة))[٦].

---

[١] الطبري : تاريخ، ٧ / ٣٥٥-٣٥٦ .

[٢] مجهول : أخبار، ٣٦٦، ٣٧٧ .

[٣] اليعقوبي : تاريخ، ٢ / ٢٧٢ .

[٤] القالي : أمالي، ٢ / ٣٠ ؛ ابن الاثير : الكامل، ٤ / ٣٧٩-٣٨٠ .

[٥] تاريخ، ٣ / ١٩٧ -١٩٨ .

[٦] المسعودي : مروج، ٣ / ١٣٣ .

ادى نفور أهل الديوان من المعسكرات والقتال الى التطرف في العقوبة، فقد ارسل الحجاج بن يوسف الى العراق سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) [١]، بتوجيه من الخلافة في ((أن يطأ أهل الكوفة وطأة يتضاءل منها أهل البصرة)) [٢]، فأشار في خطبته لمقاتلة العراق قوله ((بلغني رفضكم المهلب وأقبالكم الى مصركم عصاة مخالفين، واقسم بالله لا اجد أحد بعد ثالثه معن أخل بمركزه، إلا ضربت عنقه)) [٣]، وهكذا أصبح القتال كرها لأهل الديوان [٤]، ونفذ الحجاج وعيده بضرب اعناق المختلفي، امثال عنق عميربن ضابىء وشريك بن عمر اليشكري [٥]، كما ألزمت هذه الظاهرة الحجاج الى تجنيد المحتلمين والبالغين من الصبيان [٦].

لم تفلح هذه السياسة في بعث الروح القتالية فكان المقاتلة يخرجون على كره منهم خوفاً من العقوبة، لا رغبة في القتال فكانوا في خروجهم ((كأنما يساقون الى الموت)) [٧]، ما جعل تلك الجيوش تمنى بهزائم منكره وحركات خذلان وتمرد خطير، فقد ثار عبدالله بن الجارود ومن معه احتجاجاً على سياسة الحجاج المالية [٨]، ومنيت جيوش العراق بهزائم متكررة حتى أن جيشاً جهزه الحجاج من الكوفة والبصرة بلغ تعداده خمسين الف مقاتل ممن يأخذون العطاء[٩] هزم أمام ستمائه من الخوارج وقتل قائده عتاب بن ورقاء [١٠]، فلم يكن امام الحجاج إلا أن يستغيث بالخليفة لأرسال جند الشام [١١]، وتمرد الجيش الذي ارسله الحجاج الشرق بقيادة عبدالرحمن محمد بن الأشعث سنة (٨١هـ/٧٠٠م)، محتجأ على سياسة الحجاج بالاعتماد على أهل الشام وتفضيله له في العطاء والامتيازات[١٢] علاوة على معارضتهم

---

[١] ابن خياط، ١ / ٢٦٩ .

[٢] اليعقوبي: تاريخ، ٢ / ٢٧٣ .

[٣] الزبيري : الاخبار الموفقيات، ٩٧ .

[٤] الطبري :تاريخ، ٦ / ٢٠٤ .

[٥] المصدر نفسه، ٦ / ٢٠٧، ٢١٠ ؛ العسكري : الاوائل، ٢٦٣ .

[٦] الاصفهاني : الأغاني، ٢ / ٧٧٢ .

[٧] الطبري : تاريخ، ٦ / ٢٣٦ .

[٨] ابن اعثم : الفتوح، ٦ / ٢٥٤ ؛ الطبري : تاريخ، ٦ / ٢١١ .

[٩] الطبري : تاريخ، ٦ / ٢٦٢ .

[١٠] ابن خياط : تاريخ، ١ / ٢٧٤ .

[١١] المسعودي : مروج، ٣ / ١٤٧ .

[١٢] الطبري : تاريخ، ٦ / ٣٩٠.

لسياسة الامويين المالية وموقفهم من أرض الصوافي واموال الفيء [١]، وهكذا تحولت وجهه الجيوش من التحرير الى التوجه لأسقاط الخلافة[٢].

وهكذا أصبح المقاتلة مورداً لحركات المعارضة بغض النظر عن توجهاتها طالما توفر لهم وارداً مالياً لتناقض أهمية الديوان الاقتصادية [٣]، فضلاً عن ذلك فقد لجأوا الى ممارسة المهن وامتلاك الاراضي للزراعة [٤]، ما ادى الى تناقص أعداد المقاتلة ما دعى ساسة الامويين الى أعتماد الفرض الموقت عند الحاجه [٥].

إن تجاهل السياسة الأموية لطبيعة التحولات التي أصابت الأمصار الاسلامية أحدثت تناقضاً واضحاً في العلاقة ما بين القبائل العربية وهي عماد القوة العسكرية وبين الحكومة المركزية ما ادى بها الى انتهاج سياسة الاعتماد على العناصر الأخرى من غير العرب في رفد قوتها العسكرية كالفرس والبربر والاتراك، مما كان له أثاره على الحكم الأموي[٦].

لقد بذر الحكم الأموي من خلال سياسته التي اعتمدت النظام الوراثي اسلوباً في تداول السلطة، ضلاً عن التمايز القبلي والأقليمي، واعتماد العطاء والتسجيل في الديوان وفق معايير جديده استندت على الولاء، عوامل نقمه وتذمر لدى كثير من مكونات الأمة، اسهمت في ضعفهم وبالتالي سقوطهم، فقد شهدت الفترة من سنة (١٢٥هـ الى ١٣٢هـ/ ٧٤٢-٧٤٩م) حالة من الفوضى وعدم الاستقرار بحيث لم يعد للخلافة السيطرة على الشام المواليه لها واساس قوتها، بعد تدخل القبائل في سياسة الدولة وعزل وتنصيب الخلفاء، فقد قتل الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م)، ونصب رأسه في دمشق [٧]، واتفقت أجناد الشام على عدم اطاعة الخليفة يزيد بن الوليد [٨]، وتشير المصادر الى ان الخليفة ابراهيم بن

---

[١] البلاذري : فتوح، ٢٦١ ؛ المقدسي : البدء والتاريخ، ٥ / ٨٥.

[٢] ابن خياط : تاريخ، ١ / ٢٧٩ – ٢٨٠.

[٣] ابن قتيبة: الامامة، ٤ / ٤١٠.

[٤] ابن سعد: الطبقات، ٦ / ١٦١.

[٥] الطبري : تاريخ، ٦ / ٢٢٢ ؛ مجهول : العيون والحدائق، ٣ / ٥٣ .

[٦] البلاذري: فتوح، ١٣٩، ٤٦٤ ؛ ابن عذاري: بيان، ١ / ٢٨ – ٢٩ ؛ الطبري: تاريخ، ٦/٤٧٣ – ٤٧٤.

[٧] الزبيري : نسب قريش، ١٦٦.

[٨] الطبري : تاريخ، ٧ / ٢٦٢- ٢٦٣ .

الوليد الذي تولى الخلافة بعد وفاة يزيد بن عبدالملك [١]، لم يتم له الامر ((وكان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالأمرة، وجمعة لا يسلمون عليه بالخلافة ولا بالأمرة)) [٢]، ويصف المسعودي [٣] حالة الفوضى في عهده فيقول ((كانت ايامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط و اختلاف الكلمة وسقوط الهيبة)).

وهكذا فقد الحكم الأموي مهابته وشرعيته نتيجة لتفكك الرابطة القبلية التي قام عليها بفعل السياسة الضيقة لخلفاء بني أمية. إذ لم يستطع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية تجاوز هذه السياسة، بعد أن وصل الى السلطة بمساندة القبائل القيسية، فقدم من ارمينية حيث كان مرابطاً[٤] ((بجنوده من تميم وقيس وكنانه وسائر قبائل مضر)) [٥] ودخل دمشق واستولى عليها [٦].

وكان من نتيجة ذلك انتقال الصراع حيث توجد القبائل القيسية واليمانية في جميع ارجاء الدولة، اذ ثارت الشام وبايعت القبائل اليمانية سليمان بن هشام بالخلافة سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م)[٧]، وفي العراق ثار عبدالله بن معاوية في الكوفة في نفس السنة [٨]، واستغل الخوارج انشغال المقاتلة في هذا النزاع وسيطروا على الكوفة، وامتد نفوذهم حتى أطراف الموصل في اقليم الجزيرة[٩]، وفي خراسان وقعت العصبية بين نصر بن سيار والي الأمويين ومن معه من مضر، وجديع بن على الكرماني الازدي، ومن معه من اليمن واستمر القتال بينهم حتى داهمهم جيش الثورة العباسية [١٠] واضطربت الاوضاع في افريقية والاندلس[١١].

استثمرت الدعوة العباسية هذه الاوضاع، فأظهر أبو مسلم الخراساني الدعوة سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م)، وسيطر على مرو، وهرب واليها الذي لم تستطع الخلافة نجدته لانشغالها بقتال الخارجين عليها، اذ أرسل الخليفة اليه يعلمه ألا نصرة عنده [١]، فأستولى ابو مسلم على

---

[١] الدينوري : الاخبار، ٣٥١ .
[٢] الطبري : تاريخ، ٧ / ٢٩٨ .
[٣] مروج الذهب : ٣ / ٢٣٣ .
[٤] الدينوري: الاخبار، ٣٥٠- ٣٥١ .
[٥] الطبري: تاريخ، ٧ / ٣١١ .
[٦] المسعودي: مروج، ٣ / ٢٣٦ .
[٧] الطبري : تاريخ، ٧ / ٣٢٤ – ٣٢٧ .
[٨] المصدر نفسه، ٧ / ٣٠٢- ٣١٧ .
[٩] المصدر نفسه، ٧ / ٣١٧، ٣٤٥ .
[١٠] الطبري : تاريخ ، ٧ / ٣٦٨ -٣٦٩ .
[١١] ابن عذاري : البيان، ١ / ٦٢ ؛ مجهول : أخبار، ٥٦- ٥٧.

خراسان [٢]، وزحف جيش العباسيين بقيادة قحطبة بن شبيب نحو العراق، وانهزم امامه يزيد بن هبيرة والي العراق وتحصن في واسط [٣]، وتولى القيادة الحسن بن قحطبة بعد وفاة والده، ودخل الكوفة، حيث اعلن فيها عبدالله بن محمد بن علي(ابو العباس) اول خليفة عباس سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) [٤].

وقد أختصر مروان بن محمد الأخطاء السياسية التي وقع فيها أسلافه وقد بانت له بوضوح، عند مواجهته للجيش العباسي بقيادة عبدالله بن علي في معركته الفاضلة عند نهر الزاب قرب الموصل [٥] حين تخلى عنه جيشه الذي ناهز عدده بمائه وعشرين الف مقاتل [٦] بقوله ((انفرجت عني قيس انفراج الرأس، ما تبعني منهم أحد، وذلك انا وضعنا الامر في غير موضعه)) [٧]، اذ فشا في جنده روح التواكل والهزيمة بل كانوا يتحدون اوامره ويجاهزون بعصيانه، فيذكر ان مروان قال((لقضاعة: انزلوا، فقالوا : قل لبني سليم فلينزلوا فأرسل الى السكاسك ان أحملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا. فقال لصاحب شرطة: انزل فقال :لا والله ماكنت لأجعل نفسي عرضاً، قال : اما والله لأسوئنك ،قال : وددت والله انك قدرت على ذلك، ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان)) [٨].

دفع مروان بن محمد حياته ثمناً لسياسة أقرها أسلافه ولم يستطع تجاوزها، حيث قتل في بوصير أحدى قرى الصعيد المصري [٩]، وتهاوى اركان دولة تعاضدت على تقويضها كثير المتغيرات التي احدثتها سياسة خلفائها لمدة ناهزت قرن من الزمان، ليعلن على انقاضها نظاماً آخر، استمر لأكثر من خمسة قرون.

---

[١] الطبري : تاريخ، ٧ / ٣٥٥، ٣٦٩ ؛ الازدي : تاريخ الموصل، ١٠٧ .

[٢] المصدر نفسه، ٧ / ٣٨٩-٤٠٤ .

[٣] المصدر نفسه، ٧ / ٤١٥ .

[٤] اليعقوبي: تاريخ، ٢ / ٣٥٤ ؛ الازدي : تاريخ الموصل، ١٢٢ .

[٥] الازدي : تاريخ الموصل، ١٢٥-١٢٦ .

[٦] الطبري : تاريخ، ٧ / ٤٣٧ .

[٧] ابن قتيبة : الإمامة، ٢ / ١٤١ .

[٨] الطبري : تاريخ، ٧ / ٤٣٤-٤٣٥ .

[٩] المصدر نفسه، ٧ / ٤٤١ .

الخاتمة

يتضح مما سبق ان المتغيرات التي أحدثها الخلفاء الأمويين في سياسة الدولة متجاوزين بذلك على الثوابت والسوابق التاريخية، مستهدفين من ورائها أضفاء الشرعية والأحقية عل حكمهم، وادامته في نسلهم فضلا عن فرض سيطرتهم على رعاياهم، قد أسست لمعارضة مستدامة من كثير الفئات والاتجاهات، التي عبرت عن مواقفها بالرفض الثورة طيلة ما يناهز القرن من الزمان، مستغلة حالة الفوضى في امصار الدولة، والتفكك الذي اصاب الاسرة الاموية، حتى تحقق اسقاطها بفعل أحدى الاتجاهات التي احتوت كل العناصر المتذمرة من المتغيرات التي احدثها الخلفاء الامويين في سياسة الدولة .

ثبت المصادر

١- ابن أعثم : احمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)

- الفتوح (الهند، مطبعه مجلس دائرة المعارف العثمانية،١٩٧٧)

٢- ابن الاثير : علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

- الكامل في التاريخ (بيروت، دار صادر، ١٩٦٥)

٣- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)

- الطبقات الكبرى (بيروت، دار صادر، ١٩٧٥)

٤- ابن سلام : ابو عبيد القاسم (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨ م)

- كتاب الاموال، تصحيح محمد حامد الفقي (القاهرة، ١٩٣٤)

٥- ابن عبد ربه : احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

- العقد الفريد، تحقيق احمد امين وأخرون (القاهرة، لجنة التأليف، ١٩٦٥)

٦- ابن عذاري : ابو محمد عبدالله بن المراكشي (اواخر القرن السادس الهجري)

- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج، س كولان وليفي بروفنسال (بيروت، دار الثقافة،١٨٥١)

٧- ابن عساكر: ابو القاسم علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

- تهذيب تاريخ دمشق (دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٩١٣)

٨- ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

- الإمامة والسياسة (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٣)

٩- الأزدي : يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

- تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبه (القاهرة، مؤسسة التحرير، ١٩٦٧)

١٠- الأصفهاني : احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)

أ- الأغاني (بيروت، مؤسسة عزالدين للطباعة د. ت)

ب- مقاتل الطالبيين، تحقيق احمد صقر (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٩٤١)

١١- البسوي : يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)

- المعرفة والتاريخ ،تحقيق اكرم ضياء العمري (بغداد، مطبعة الارشاد،١٩٧٤)

١٢- البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ /٨٩٢ م)

أ- أنساب الاشراف، تحقيق عبد العزيز الدوري (بيروت، ١٩٧٨)

ب- فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة مكتبة النهضة،١٩٦٥)

١٣- الجاحظ :عمرو بن بحر (٢٥٥هـ/٨٦٨م)

أ- البيان والتبيين، تحقيق، تحقيق عبد السلام هارون (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦١)

ب- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٦٤)
١٤- خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)
- تاريخ، تحقيق سهيل زكار (دمشق، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٧)
١٥- الدينوري : احمد بن داؤد (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)
- الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال (القاهرة، دار احياء الكتب)
١٦- الزمخشري :محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)
- ربيع الابرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٦)
١٧- الزبيري : محمد بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠ م)
- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣)
١٨- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بأمر الله، تحقيق محمد محي الدين (القاهرة، مطبعة السعادة،١٩٥٢)
١٩- الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م)
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠-١٩٦٩)
٢٠- العسكري : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)
- الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل (المغرب، دار الأمل، د. ت)
٢١- القالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ /٩٦٦م)
- الأمالي (القاهرة، دار الكتب، د.ت)
٢٢- الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)
- الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن كسن (بيروت، مطبعة الأباء اليسوعيين، ١٩٠٨)
٢٣- المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ /٨٩٨م)
- الكامل في الأدب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة، دار نهضة مصر،١٩٥٦)
٢٤- مجهول / المؤلف (عاش في القرن الحادي عشر الهجري)
- تاريخ الخلفاء، نشر بطرس غرياز نيويج (موسكو، دار العلم، ١٩٦٧)
٢٥- مجهول / المؤلف
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعيدي (دمشق،١٩٧٢)
٢٦- مجهول : المؤلف

- أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبدالعزيز الدوري، وعبدالجبار المطلبي (بيروت،١٩٧١)

٢٧- المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)

- مروج الذهب وجواهر المعدن، تحقيق محمد محي الدين (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨)

٢٨- المقدسي : المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)

- البدء والتاريخ (باريس، ١٩١٦)

٢٩- المنقري : نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ / ٨٢٧م)

- وفعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة، المؤسسة العربية، ١٩٦٢)

٣٠- اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)

- تاريخ اليعقوبي (بيروت، دار صادر،١٩٦٢)

المراجع:

١- الدوري : عبدالعزيز عبد الكريم

أ- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩)

ب- في التنظيم الاقتصادي في صدر الاسلام، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد خاص بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري (الكويت، ١٩٨١)

٢- فلهوزن : يوليوس تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة عبد الهادي أبو ربده (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨)

٣- النص : احسان العصبية القبلية وأثرها في العصر الاموي (بيروت، دار الطليعة،١٩٦٣)